

الفصل الثامن

الثورة الصناعية وآثارها على المجتمع الأوربي

الصناعة قديمة قدم الحضارة، ولكن التغير الصناعي الذى طرأ على أوربا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر شكل ثورة حقيقية لم تغير الزراعة والنقل والمواصلات والانتاج الصناعى تغييرا أساسيا فحسب بل غيرت كذلك فى أخلاق الناس وفى وسائل معيشتهم وعاداتهم، وفى السياسة والدين والفلسفة والفنون، وفى اجتذاب أهل الريف إلى المدن التى تعددت فيها الأعمال وتكاثرت.

وخلال ذلك برزت أهمية الفحم كوقود للصناعة، وفى استعماله لتتقىة خام الحديد ليصبح أقوى وأطوع مما يسر اختراع آلات الثورة الصناعية وتطور الآلات والمعدات التى ضاعفت مجهود الانسان وحلت محله.

وبعد عام ١٧٣٣ الذى ابتكر فيه العالم الانجليزى "جون كاى John Kay" المكوك الطائر، البداية الحقيقية للثورة الصناعية فى انجلترا فعن طريق هذا المكوك بدأ ميكنة النسيج وزاد انتاج المنسوجات، ثم توالى الاختراعات ففى عام ١٧٧٦ دارت آلة "جيمس وات Watt" البخارية واستخدمت قوة البخار فى ادارة الآلات، كما اخترع المهندس الالمانى "ديزل Diesel" آلة تدار بزيت البترول عرفت باسمه.

وبتطور الآلة وتطور القوى المحركة لها وتحسين طرق التعدين زاد الانتاج من حيث الحجم والسرعة، وارتبط ذلك كله بتحسين وسائل النقل والامتثال خاصة وأن البضائع التى انتجتها المصانع كانت تحتاج لنقلها إلى الأسواق ونتيجة لذلك ازداد نفوذ الرأسمالية وازداد عدد أفراد الطبقتين المتوسطة والعمالية ازديادا ملحوظا.

وقد امتازت الصناعات بأنها أصبحت تقوم على أسس علمية، مما جعل لها أهمية كبيرة فى تاريخ المجتمع الأوربي.

والجدير بالذكر أن الثورة الصناعية ظهرت في أول امرها في إنجلترا ثم انتقلت بعد ذلك إلى فرنسا والمانيا وباقي دول العالم وتتلخص أسباب اسبقية إنجلترا في الصناعة عن غيرها من دول أوروبا إلى مايلي:-

- ١- توفر رؤوس الأموال فيها بسبب ممارستها للتجارة الخارجية منذ القرن السادس عشر، وكان انشاء بنك إنجلترا في عام ١٦٩٤ عاملا أساسيا في تنظيم الأعمال الاقتصادية.
- ٢- كثرة الأسواق التي تتعامل معها إنجلترا، خاصة وأنها كانت تمتلك امبراطورية واسعة غنية لاتغرب عنها الشمس مما أدى إلى توفر المواد الخام اللازمة للصناعة الانجليزية، وأدى هذا إلى وجود فائض كبير لديها من رأس المال أمكن استغلاله في الصناعة. يضاف إلى ذلك أن تفوق إنجلترا في الأعمال البحرية وخبرتها الواسعة في التجارة الخارجية أدى إلى زيادة ثروتها وتقدم صناعاتها وتطورها.
- ٣- تمتع إنجلترا بحكومة دستورية منذ ثورة ١٦٨٨ التي وضعت حدا لتدخل الأسرة المالكة، وللضرائب المجحفة، وأصبح للبرلمان كلمة في حكم البلاد. وفي ظل حكومة وطنية قوية تمكن رجال الأعمال والمال أن ينعموا بأكبر قدر من الأمن والحرية والرخاء.
- ٤- سلامة إنجلترا من خطر الغزو الخارجي وعدم تعرضها للاحتلال الذي تعرضت له بعض دول أوروبا في العصر الحديث أدى إلى نهوض الصناعة والتجارة بها.
- ٥- المناخ المناسب من حيث رطوبة الجو، وتوفر مساقط المياه التي استخدمت لإدارة الآلات.
- ٦- أسبقية إنجلترا في الاختراع، ووضعها أساس الثورة الصناعية في شتى مناحيها ساعدها على تقدم الصناعة فيها، فالاختراع وليد الحاجة دائما وعلى سبيل المثال نذكر أن الذي دفع 'جيمس وات' على توجيه عنايته لاختراع الآلة البخارية كان شدة الحاجة إلى طلبه بخارية تستخدم لنزح المياه من مناجم الفحم بعد أن أصبحت تلك المناجم عميقة إلى حد جعل الطلبات اليدوية غير قادرة على تحقيق الغرض المطلوب وكان ذلك شأن بقية المخترعات الهامة في ذلك الوقت يضاف إلى ذلك أن تشجيع الجمعية الملكية البريطانية للفنون والصناعات عن طريق رصد جوائز للمخترعين أدى إلى حفز مهم على الاختراع.

٧- تركيز الصناعات قرب مناطق الطاقة والمواد الخام والثروة المعدنية المتوفرة في إنجلترا خصوصا الفحم والحديد. ساعد على اقتصاد الوقت والنفقات مما أدى إلى نمو الصناعات والتوسع في الإنتاج.

وقد ترتب على تصدر إنجلترا ثورة التصنيع أن أصبح لها الريادة الاقتصادية في العالم لفترة، غير أن حركة التصنيع والتقدم العلمي أخذ ينتشر في غرب أوروبا ولم يأت الربع الأخير من القرن التاسع عشر حتى كانت هذه الدول تتنافس إنجلترا في صناعاتها.

آثار الثورة الصناعية:

كانت نتائج الثورة الصناعية متعددة النواحي فاستخدام الآلات الجديدة وقيام المصانع الكبيرة لم يكن انقلابا اقتصاديا وسياسيا فحسب بل كان انقلابا اجتماعيا أيضا ولم تتج من آثاره السلبية أو الايجابية كافة طبقات المجتمع وفيما يلي نعرض لذلك.

١- تدهور الصناعات اليدوية:

دفع الانقلاب الصناعي بأغلب المشتغلين بالصناعات اليدوية خاصة الغزلين والنساجين إلى البطالة ثم إلى البحث عن موارد أخرى للكسب تتفق مع ظروف الحياة المتغيرة.

٢- هجرة السكان من الريف إلى المدن:

رحل العديد من القرويين إلى المدن الصناعية للعمل فيها كإجراء ، وأدى تدفقهم المطرد إلى عدم مقدرة المدن على استيعابهم، وتدهور أحوالهم المعيشية والصحية بسبب المساكن القذرة التي عاشوا بها، ورداءة العمل بالمصانع، وساعات العمل الطويلة والأجور المنخفضة واضمحلال مستوى الصحة وزيادة انتشار الانحلال الخلقي والمنكرات والجرائم

لفترة، وبعد تقدم الصناعة بخطوات واسعة واستقرار نظامها أخذت تتخلص من هذه المساوئ، فأخذت المدن الصناعية فى النمو والانتساع بدرجة كبيرة وارتفع مستوى معيشة العمال خصوصاً بعد توحيد كلمتهم وتأسيس نقاباتهم وظهور الحركة الانسانية التى تدعو إلى الإصلاح. فارتفعت أجورهم وتحسنت أحوال معيشتهم تدريجياً، وازدادت العناية بصحتهم وتوافرت لهم الحياة الكريمة، وازدادت ثروة الدولة وقوتها، كما ازداد عدد المصارف والشركات التعاونية.

٣- الاستثمار الرأسمالى:

انتقال الاقتصاد من النقابات الحرفية المنظمة والصناعات الأسرية إلى نظام الاستثمار الرأسمالى ونمو الرأسمالية الصناعية، وظهور طبقة جديدة من الرأسماليين الذين استطاعوا بثروتهم التأثير فى حكم بلادهم وكان "آدم سميث" الصوت البريطانى للنظام الجديد.

٤- تصنيع الزراعة:

استبدال المزارع الصغيرة بمساحات كبيرة تستخدم فيها الآلات والقوى الميكانيكية على نطاق واسع لانتاج الطعام يضاف إلى ذلك أن تشجيع العلم والبحوث الخاصة به قد أدى إلى نتائج عملية هائلة.

٥- تحسن وسائل المواصلات:

أخذت عقول المخترعين فى الاهتمام بتحسين وسائل المواصلات العالمية والنقل لشدة ارتباطها بمشكلاتى الانتاج والاستهلاك فازدادت فى أواخر القرن الثامن عشر حركة شبق الطرق، وحفر القنوات كما استطاع "ريتشارد تريفيثك" أن يسجل فى عام ١٨٠٢ اختراع القاطرة البخارية وفى اعقاب ذلك ظهرت السكك الحديدية والسفن البخارية، وتطورت مقدره الانسان على التثقل والتجارة لدرجة أصبح الانسان لايعتمد على بيئته المحلية للحصول على غذائه بقدر اعتماده على الأسواق العالمية.

حسن أحوال العمال:

تدخلت الحكومات لتحسين أحوال العمال وأصدرت قوانين جديدة للعمل، مثل
الأطفال والنساء وتنظيم العلاقة بين أصحاب العمل والعمال على نحو يكفل للعم
ريمة.

لظهور نظريات اقتصادية جديدة.

رفعت الثورة الصناعية أهمية الاقتصاد ووضعه، وأفضت إلى ظهور نظريات
التفسير الاقتصادي للتاريخ.

صراع بين الدول الصناعية من أجل السيطرة على مواطن المواد الخام اللازم
صناعة، وعلى الأسواق مما فتح المجال للاستعمارى على مصراعيه وأدى إلى الع
ن الأزمات.

وبمرور الزمن ظهرت فى الدول الصناعية آراء اشتراكية تتصل بمصالح العم
فى العمل واشتراكهم فى شئون بلادهم، والرغبة فى تطبيق المبادئ الدستورية
التعبير عن آرائهم، وعرض مطالبهم على الرأى العام لاسيما بعد أن برز
فة، وأصبحت من أهم وسائل التوجيه والإرشاد. كل ذلك أدى فى نهاية الأمر إلى
حضارة فى أوربا وصبغها بلون جديد.



داروين



اسحاق نيوتن



الكسندر جراهام بل



« ادیسون »

